مِيـــلادُ بِـــــذرةٍ
The birth of a seed

(.. ويجري خلفه صوتُ صُراخ طفلٍ خرجَ تواً للوجودِ من رحمِ أُمٍ، نذرتْ للرحمنِ نفسَها وروحها فِداءً له ..)

مِيلادُ بِذرةٍ

بينمَا قطراتُ المطرِ تتساقطُ متتابعة، راحَ ذراعان يتعاونان يميناً ويساراً كممحاتين، كانَ الطريقُ طويلاً، والقلقُ أسدٌ كاسرٌ، يقبضُ على عُنقي، وينشبُ مخالبَهُ في أحشائي كُلما اقتربتُ .

دخلتُ واجماً تتساقطُ تلكَ القطراتُ من خُصلات شعري، أمسحها بيدي، وقد بللت ثيابي؛ فيجففها جسدي بحرارتهِ المُتقدة، بينما يفزعُ القابعُ داخلَ حُجراتِ قلبي، ويزيد اشتداد قبضته المفترسة على أحشائي؛ فتنبجث الدموعُ من عيني مراراً حينما قابلني من يرتدي مِعطفاً أبيضَ وابتسامة تُزين ثغره، ويجري خلفه صوتُ صُراخ طفل خرجَ تواً للوجود من رحمِ أُمٍ، نذرتْ للرحمنِ نفسَها وروحها فِداءً له، حينما أشاروا وأشارتْ بالموافقةِ أن يُقطع كُلُ جزءٍ من أحشائها؛ لتمنحهُ للحياةِ سليماً مُعافاً .

بينما كبلتُ ذالَ الذي ينهشُ بأحشائي بابتسامةٍ فَرحةٍ انعتقت من صميم قلبي، ولهج لساني، ممتدةٌ عيناي نحو السماء :

- حمداً لكَ ربي على عَطائكَ .

قال الطبيبُ وهو يفك لغذاً مُنحشراً في صدري : ... ولدٌ

تقدمتُ نحوه مُتقداً شاكراً، قائلاً وإن لم يفهم لغتي جيداً :

- هل لي أن أأذن في أُذنيهِ ؟!
- ردَّ قائلاً : you madam is very good

زاد قلبي تهليلاً ودخلت أتفرس طفلي من بين أطفال خرجوا للتو للحياة بصُراخ الحياة الممتد، وشدني خيطٌ سحري تجاه ولدي الذي يرفث الهواء والحياة برجليه، ويعلو وجهه بهاء ونورٌ وطيف ابتسامة يغازل فمه الدقيق، وفي صمتٍ رقيق مددتُ بصري نحوه ، وكان

الزجاجُ حائطاً حائلاً بيننا ...

فرحتُ حيث زوجتي ترقد في إعياء كمن يشرف على الموت، ربتُ عليها مُطمئنها؛ ففترفمُها بميلاد ابتسامة حُبلى، بينما طفرتْ عيناها بالدموع، لاتدري ولا أدري كأنما سحائبُ صيفٍ خلفها خيولٌ تقدحُ بحوافرها شرراً، مُخلفةٌ غُباراً ضاعتْ فيه الرؤية .

خرجتُ أتلصصُ موضعه لعلي أُلقي إليه بنظرةٍ تُطفئ لهيبَ قلبٍ مُشتعلٍ؛ ولكنما خطفتهُ أُمُهُ بين فكيها وطارتْ بهِ لأرض الوطن، بينما كنتُ أحلقُ ضمن أسراب حمائم تكلى، تحومُ في الفضاء وتجوبُ آفاق السماء ، لعلها تُسقطُ محاجرها على جثمانِ طفلٍ صار في زمن اختطافهِ شاباً يافعاً مُمدداً، أبى الغُربةَ مرقداً له، وراحَ يتدثر بين دموع وآهات الأهل والأحباب، ينظر إلى السماء سعيداً مُنتشياً، تُباركه حُور العين، وتشدُ أذرهُ . راحَ يبحثُ عن أبٍ صار قلبُهُ في مناقر طيورٍ جارحةٍ ضلت أسرابُها بين خرائط ممزقةٍ بثيابٍ زرقاء، تحكمها قُضبان حديدية، لاتعرفُ معنى للحنين ولا للبكاء .

عادَ ولدي حيثُ وُضعَ بذرةٌ، لينمو شجرةً وارفةً تستظل تحتها أمٌ نذرتْ للرحمن روحها؛ لتمنحهُ الحياةَ يوماً، وأبٌ ضاعَ مصيرهُ بينَ أسرابِ طيورٍ جارحةٍ ضلتْ مساربُها بين خرئط هجرتها الممزقة في عنانِ السماءِ .. !!

٢٠١٩/٨/٢م